

في
التَّوْصِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
« ٤٧ »



السَّنة النَّبَوِيَّةُ والمَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ

تأليف
د. محمد حمادة

٤٧ فقه التنوير الإسلامي

السنة النبوية والمعرفة الإنسانية

تأليف
د. محمد حمادة





السنة الثبوتية والمعرفة الإنسانية

د . محمد عمارة

داليا محمد إبراهيم

مايو ٢٠٠٠

٧٧٠٧ / ٢٠٠٠ م .

I . S . B . N 977 - 14 - 1283 - 3

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت : ٢٣٠٢٨٧ / ١١ . (١٠ خطوط)

فاكس : ٢٩٦ - ٢٣ / ١١ .

١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢ .

فاكس : ٥٩٠٣٣٩٥ / ٢ . ص ب : ٩٦ الفجالة .

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢ .

فاكس : ٣٤٦٢٥٧٦ / ٢ . ص ب : ٢٠ إمبابة .

اسم الكتاب

اسم المؤلف

أشراف عام

تاريخ النشر

رقم الإيداع

التسجيل الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

على مر تاريخ الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية ، نهضت السنة النبوية بدور المصدر الثانى من مصادر التشريع - إذ المصدر الأول هو القرآن الكريم ... وبهذا الاعتبار ، حظيت السنة باهتمامات فكرية وخدمات علمية ، سرت للأمة الاستفادة منها فى هذا الميدان . . ميدان التشريع ، والفقه ، والقانون .

كذلك ، حظيت السنة النبوية بجهود علمية متميزة - وربما غير مسبوقة فى الفكر الدينى والحضارى لدى الأمم الأخرى - بميادين التوثيق . . والإسناد . . والرواية . . والشرح والتعديل للرجال الذين رووها ودونوها . . حتى ليتمكن للحضارة الإسلامية أن تفتاح بالمناهج والتطبيقات التى تبلورت علماً شامخاً فى توثيق النصوص والمأثورات والمرويات . . وهو علم يمكن أن يتعدى حدود السنة إلى ميدان التاريخ . . .

وإلى حد ما ، حظيت السنة النبوية بجهود علمية فى ميدان «الدراية» والكشف عن علل المتن ومقارنة المرويات . . وخاصة فى عرض الأحاديث على محكم القرآن الكريم . . وهى جهود تحتاج المزيد من المتابعات والإضافات . .

لكن هناك ميادين فى علوم السنة النبوية ، تحتاج إلى ريادات بحثية لأنها لا تزال يكرأ حتى الآن . . ومنها الكشف عن ما فى

السنة النبوية من مصادر للمعرفة الإنسانية ، وخاصة في ميدان السنن والقوانين الإلهية - سنن وقوانين المجتمع الدينى .. والتقدم والتراجع .. والتجديد والجمود .. والتهوض والانحطاط .. . فإسلامية المعرفة الاجتماعية والإنسانية تستلزم النظر إلى السنة النبوية بهذا الاعتبار ، وبقدر ما تتزايد حاجات أمتنا إلى فقه التهضة ، والوعى بسنن الإقلاع الحضارى .. . بقدر ما تتزايد حاجات العقل المسلم كي يدرك ما في السنة النبوية من كنوز في هذه الميادين

ولعل هذه الصفحات - التى تتناول طرفاً من مكانة السنة النبوية في المعرفة الإنسانية - أن تكون إضافة متواضعة لجهود حديثة - محدودة - .. وأن تعزى بالبحث الجاد والمعمق في هذه الميادين ..



في مناهج الفكر ، السائدة والمؤثرة في الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة - يشقيها الليبرالي والشمولي - وبسبب من النزعة المادية في دراسة الواقع والتاريخ وتفسيرهما ، كانت السيادة للمناهج الوضعية التجريبية أكثر من غيرها ، بل ودون غيرها في أغلب الميادين ..

فالإنسان بنظر هذه الحضارة هو الإنسان الدنيوي ، إنسان عالم الشهادة .. إنسان « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » .. وحتى عندما يتدين فإن نديته يقف عند الطقوس ، فلا يعرف طريقه إلى تشكيل واقعه ونظريته للدنيا ومناهجه في التفكير ..

وبسبب من سيادة هذه النزعة « الدنيوية - العلمانية » ، لم تعتمد مناهج الفكر الوضعي هذه سوى « الدنيا - العالم - المحسوس » مصداقاً وحيداً للمعرفة الحقيقية والعلم الصحيح ، كما وقفت في أدوات المعرفة عند أخماس دون سواها ، وقطعت فيما يشبه الإطلااق والتعميم ، بأن ما سوى المادة والمحسوس ، وما سوى الأخواس - والعقل قوة من قواها - لا يمكن أن يثمر معرفة صادقة ولا علماً يقينياً ، وأقصى ما يبلغه هو إنتاج « الخيال » ..

والميثاقيزيقا» التى إن أشبعت «الوجدان» فإنها لا ترقى إلى ما
تطمئن إليه «العقول» ! .

ولذلك المنطلق والموقف فى المذهبية الغربية كان انفراد «المنهج
التجريبى» لديها كالمنهج الوحيد القادر والصالح لأن ينشر المعارف
اليقينية التى تستحق احترام المفكرين والعلماء . . فلأن أصحاب
هذه النزعة قد احتزلوا عالم الإنسان إلى «عالم الشهادة» كان
اختزالهم مصادر المعرفة الصحيحة إلى الظواهر المادية دون غيرها ،
ومن ثم اختزالهم أدوات المعرفة فى الحواس . . تلك هى النزعة
السائدة والمؤثرة فى مناهج الفكر الغربى . . النزعة الوضعية
لأصحاب المنهج التجريبى . . .

أما المذهبية الإسلامية . ذات السيادة والتأثير فى مناهج الفكر
بالحضارة الإسلامية ، فإن لها فى هذه القضية موقفاً آخر مغايراً .

فالإنسان فى المنظور الإسلامى ليس دنيوياً فقط ، لأنه مخلوق
لله الواحد ، سبحانه وتعالى . وهو فى هذه الدنيا ليس موكولاً إلى
واقعة المحسوس وإلى حواسه وحدهما . لأنه فيها خليفة عن الله ،
سبحانه ، مكلف بإعمارها وفق بنود عهد وعقد الاستخلاف ،
وهذه الأمانة التى حملها هى الإبتلاء الذى سبحانه عليه ،
بعد النبعث فى يوم الدين . . .

إذاً ففى المنظور الإسلامى . ليست هذه الدنيا وليس عالم

الشهادة هذا هو العالم الوحيد الذى يؤمن بوجوده هذا الإنسان المسلم ، فقبله كان عالم البدء . . . وبعده يأتى عالم المصير . . . فليست المادة والمحسوسات هي وحدها مصدر المعرفة ، لأن عالمها ليس هو العالم الوحيد فى هذا الكون وهذا الوجود . . .

ولأن الإنسان هو واحد من مخلوقات الله ، التى تحل عن عاد وحصر هذا الإنسان . . . وبسبب من مكانته الخاصة المميّزة ، والتميّزة بين سائر المخلوقات ؛ كانت رعاية الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان ، وهى التى تتخذ العديد من الصور ، وتسلك الكثير من الطرق والأساليب . . . ولما كان مصدر هذه الرعاية (الله سبحانه وتعالى) ، ليس مادة ، فلقد جعل لهذه الرعاية ، بما تتضمن من فكر وتوجيه وعلم وتعليم ، مصادر ووسائل غير تلك المادة الخسوسة التى تدركها حواس الإنسان . . . وهنا يأتى دور الرسائل السماوية فى مصادر المعرفة لدى المؤمنين بهذه الرسالات . . . فالوحي الإلهي - عبر الرسالات والرسول - هو مصدر - غير مادي للمعرفة والعلم والفكر والتوجيه - فعالم الشهادة هو أحد عوالم هذا الكون ، وليس العالم الوحيد فيه . . . والحواس التى يدرك بها الإنسان معارف عالم الشهادة ، هى حواس إنسان مخلوق . فمضى إذن محدودة القدرات والأفاق ، إذا ما قيست بالقادرة المطلقة والعلم الكلى والمحيط لمن خلق هذا الإنسان ورعاه . . . فإذا استقلت

(١) انظر كتابا (الغارة الحديثة على الإسلام) طبعة دار الرياء القاهرة سنة ١٩٩٨ م . وكتابا (الجديد فى الحفظ العربى تجاه المسلمين) طبعة دار الوفاء القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

هذه القدرات الإنسانية بإدراك أمر فإنها لا تستقل بإدراك أمور .
ولذلك فلقد من الله ، سبحانه وتعالى ، على هذا الإنسان ،
كمظهر من مظاهر رعايته له ، وبسبب من مكانته الخاصة بين
المخلوقات - إذ هو الذي نفخ الله في طينته من روحه ، وحمل
دونها أمانة الاختيار والمسئولية والتكليف ، من الله على هذا
الإنسان بأن يسر له مصادر للمعرفة ، وسبلاً لتحصيلها تتيح له علم
ما لا تعلمه إياه ظواهر المادة في عالم الشهادة المحسوس . .

إن الله لم يكله - في المعرفة - إلى حواسه وحدها وإلى قدراته
بمفردها . . فكانت رسالات السماء مصادر للمعرفة لاتلغى المعارف
المحسوسة المشاهدة ، ولا تقلل من شأن أدوات إدراكها ، وإنما
تضيف إلى المعرفة الإنسانية معارف يقينية لا تشرها المادة
ولا تستقل بإدراكها الحواس ، لأنها معارف عوالم غير مادية ،
وإنباء عن مقادير من علم هذه العوالم ، تفضل بها على هذا
الإنسان عالم الغيب والشهادة ، وذلك حتى لا يظل هذا الإنسان
- المكون من الروح والجسد - معزول عن غذاء الروح وحبساً للمعارف
المادية دون سواها . كانت معارف هذه الرسالات السماوية :

● تأكيداً للمعارف العقلية الصادقة يُطمئن الإنسان العاقل على
صدق ما وصل إليه بعقله الإنساني ، عندما وصل ، ذاتياً إلى
تحسين الحسن وتقيح القبيح . .

● وتصحيحاً لأحكام وتصورات الحواس - ومنها العقل الإنساني

- التي لم تصادف الحق والصواب لتسببه قدرات هذه الحواس ومحدودية آفاقها . .

● وإعانة لهذا الإنسان على معرفة وإدراك المقادير الضرورية لترشيد مسيرته من المعارف والعلوم التي لا يستطيع عقله أن يستقل بإدراكها . .

● ودعوة له كي يفوض فيما لا تدركه حواسه ، مما سكنت هذه الرسائل عن تفصيل خبره من المعيبات ، ومن الأحكام التعبدية .
فهى إذا عوالم ومبادئ للمعرفة . . وهى أيضاً ، سبل متعددة لتحصيل المعارف اليقينية ، يؤمن بها الإنسان المسلم ، بحكم إيمانه الدينى ، وليس فقط عالم الشهادة ولا الحواس الإنسانية ، هى مصادر وأدوات المعرفة الحققة - كما فى « الوضعية - المادية » عند المفكرين الغربيين - . .

إن الإنسان المسلم ، بحكم إيمانه بتعدد عوالم هذا الكون وهذا الوجود . . وبحكم إيمانه بالكثرة والتعددية ، التي لا تستطيع كبر حصرها فى أُم الخلقات وجماعاتها فى هذا الوجود ، وبحكم إيمانه بالتكليف والمسئولية التي تترتب على حمله الأمانة - كخليفة عن الله - الأمر الذي يقتضى حساباً وجزاء ، تنتفى بهما « العبيثية » عن هذا الوجود . . . إن هذا الإنسان - يحكم ذلك الإيمان - لا يقف بتطلعاته المعرفية عند عالم الشهادة هذا ، وإنما يتطلع أيضاً ، إلى ما

وراء هذا العالم ، ويتلمس معارف لا تحتلها حواسه وحدها ولا
 تستغل بإدراك حقائقها . وهو يشعر ، بسبب من تجاوزه إطار
 الدنياوية المحدود ، بأن سعاده «الدنيوية والأخروية» مبرهنة
 بتكامل معارفه - ولو على نحو ما - عن الكثير من ميادين المعرفة
 ومصادرها . . . وهذا انتهى الرغبات السماوية مما تقدم من مصادر
 للمعرفة غير مادية لتبلى تطلعات هذا الإنسان .

ذلك هي المطلقات الإيمانية التي جعلت للمذهبية الإسلامية
 في مصادر المعرفة نهجا متميزاً عن ذلك الذي ساد لدى المفكرين
 الوضعيين الغربيين .

ولذلك وجدنا هذه المذهبية الإسلامية لا تحق بمصادر المعرفة
 عند «المنهج التجريبي» وحده . إنها لم تهمله ولم تغض عن
 شأنه ولا من شأن ثمراته المعرفية ، بل إنه أحد ألداعيات حضارتها
 الإسلامية ، فيها تلور ، وأعظم ثمراته ، قبل أن يستقل ويتطور
 لدى الغربيين . . . إنها لا تهمله ، ولكنها لا تقول بوحدايته
 كسبيل للمعارف الإنسانية البقينة . وإنما هي تعتمد معه .

١. المنهج الاستنباطي :

ذلك الذي يستنبط به الإنسان من الجراثيم المادية معارف تقطع
 بضرورة وجود غير مادي .

إن العقل المسلم عند ما ينظر في آيات الكون ، ويؤثره المادية ،

والنظام الخكم الذي يحكم كل من وما ، فيه لا تفق معارفه
المستبطنة عندما هو مادي منها ، تستقل حواسه بإدراكها ، وإنما هو
يدرك ، بقيا ، ضرورة وجود غير مادي ، معارف لهذا العالم المادي
هو الذي محه الوجود والنظام والانتظام

ب. المنهج التاريخي :

الذي يستدل به الإنسان ، بواسطة التواتر العقلي ، على وجود
مادى تاريخي لم نشهده حواسه ، ومع ذلك فإن هذه الحواس تنبع
في التصديق بوجوده مرتبة اليقين

ج. المنهج السمعي :

ذلك الذي يكمل الوحي الإلهي - السماع القرائي - والسمعة
النسوية - البيان النبوي لهذا السماع القرائي - مصطنع عدمه
ومعارفه . . فهذا المنهج السمعي يدرك الإنسان المعارف المتاحة
عن عالم الغيب ، غير المادي ، والذي يستحيل إدراكه بالأدوات
المادية للإدراك ، كما يدرك المعارف التي تعين العقل على
إدراك ما لا يستقل بإدراكه ، وتساعد الحواس على وعي ما لا
تنفرد بوعيه . . .

وليس أمر هذه المعارف - التي تتحصل للإنسان بالمسيح
السمعي - ليس أمرها في الصدق واليقين بأقل ما يكون الحال
عليه في معارف المنهج التحريبي ، كما حسب وبحسب ذلك

العربيين الذين رأوها «خيالا - وميتافيزيقا» لا ترقى إلى «درسة
الدين»... ليس أمر هذه المعارف وحفظها من البقيع على هذا
الحد من النواضع والتدنى... بل إن الأمر قد كان على
التفريط من تصور العربيين لهذا الموضوع... موضوع بقضية
المعارف المتحصلة بواسطة المنهج السمعي

للمنهج السمعي: إذا اكتسبت مفاهيم اللغة بمصادر معارفها،
والحتمية شروط الصحة تأتي اليوم رواية ومراعاة... كان
أفسان العقل المؤمن للمعارف المتحصلة بواسطة أكبر من
ذلك المتحصلة بحواس الإنسان... إذ فرق منهج «السمعي»
حين يصدره صاحبه العلم الخاطئ (الخطأ) وبين حين يصدره علم
العالم الخلدود القسرة والإمكانيات... ومعارف تطبيقية بين حسي
المفهوم وحين الحس!

إن قد يتساءل الذين يشككون في هذه الخشفة

أليس للإنسان الذي يملك «أحد» من الحواس، ويعقل عقله، أن
يتفلس معارفه بمصدرها غير مادية، ولا يستطيع الأدوات المادية
للإنسان أن تختبر حسنها وتتحقق من ترجمتها بغيره؟^{١٧}

والأ يكون تكليف الإنسان - وهذا حاله - بالتصديق البقيعي
بمعارف لا يستطيع أدواته الحسية اختبارها، بل ولا من شأن التكليف
بما لا يطاق؟^{١٨}

قد يتساءل الذين يشككون في هذه الحقيقة هذا التساؤل ،
الذي يبدو مستكملاً « الشكل المنطقي » ! . ولكننا ننبه على أن
المعرفة بالمتخصص الإيمانية الإستنباطية على : وجود حاجة هذا
التساؤل من الأساس .

ذلك أن المسلم يدرك حقيقة وجوده إلى غير مادي . خالق لهذا
العالم ، وقاله على وعاءه . يدرك ذلك بالعقل الدائم في
« الصنعة » و « المصنوع » وفي باب الوجود وكتاب الكون المادي
المفروح . فالاستنباط العقلي يؤمن المسلم بالله المستجمع
للكمالات المقتادة والقدرات المقتضية . . . وما أن رعاية الخالق مخلوقاته
هي بعض من كمالات هذا الخالق ، كان اللطف الإلهي ، المتمثل
في الوصل والوسائل السببية ، هداية للإنسان . وعضوينا خلقه
على درب الحاشية ، فالحكمة العقلية وحيدة على ذلك المصير .
المعارف التي لا تستل قدرته بإدراكه ولا بمعرفة غنقه بعقلها

إذن . . . فمصادر هذه المعارف السمعية ، التي تلقاها المنهج
السمعي ، لا يقبل في المعقولة عن المصادر المادية للمعرفة
المستفادة بالمنهج التجريبي . لأن هذه المصادر الغيبية هي مصدر
معقولة . عقلياً لإنسان تعاقلي بالمنهج الاستنباطي . فنبست هي
من « الميتافيزيقا » والخيال « الغريبي » عن العقل وبقية كما
يحسب الوضعيون الغربيون . . . فإذا توطدت للأحبار السمعية
شروط الصدق . . . فبذلك . . . بعد أن . . . العقلية . . .
غير لا ماديها مع عدم عديتها ، ذلك أن كونها مستجمعة (مستكة

كل شروط اليقين الذي يتطلع إليه العقل الإنساني ويتطلبه في المعارف اليقينية . .

تلك هي مطلقات المذهبية الإسلامية في النظر إلى مناهج المعرفة . وذلك هو طريقها المتبصر في اعتماد المنهج السمعي واحداً من المناهج التي تثمر المعارف الصادقة واليقينية في السق الفكري الذي ساد في حضارة الإسلام . . . وبهذا المنهج غدت السنة النبوية ، ومن قبلها القرآن الكريم ، مصدراً للمعرفة ، والمعروفة اليقينية ، في مذهبية الإسلام .



❖ القرآن والسُّنة . . أو . . البلاغ . . والبيان ❖

القرآن الكريم . هو كلام الله . ووضعه . وكتابه الذي أحكمت آياته . وبلاغه المنج . على لسان رسوله محمد بن عبد الله . ^(١٦) إلى العالمين . هو وحى الله إلى رسوله ومعجزة التحدى وأنه صدق هذا الرسول . وهو . محمد بن آدم مستوفيات المنهج السمعى . المصدر الذي لا يدانيه سواء . إذ فى الإعجاز المتحدى . أو فى الحجة المعجزة . أو فى توثيق الرواية . أو فى عقلانية الدلالة . أو فى التعهد الإنهى له باحفظ . وعدم تعديل ما فيه من كلمات . وبالقطع بأن الباطل لا يأتيه من أى أحد .

إنا نحن ربك الذى ذكر وإنا له لحافظون ^(١٧) . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت نفرون عبر هذا أو بدله فل ما يكون لى أن أبذل من لقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ^(١٨) . لهم الشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تدبيل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ^(١٩) . وإنا ما أوحى إليك من كتاب ربك لا

(١٦) سورة: ١٥

(١٧) الحجر: ٩١

(١٨) القصص: ١٦٤

فَبَدَّلَ لِكُلِّ مَنَاتَةٍ وَلَوْ تَحَدَّ مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا (١٠٠) (١١) إِنَّ الَّذِي
كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ عَذَابًا (١٠١) لَا يَأْتِيهِ السَّاطِلُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (١٠٢) (١٢)

وَلَقَدْ كَانَ لِفَتَاوَى الْقُرُونِ - الَّتِي انقضت من خمسة عشر حتى
الآن - شاهدٌ على صدق هذا الوعد الإلهي بالحفظ وعدم
التعديل - ونفي الساطل ، ومعجزاً جديداً ، ودائماً يشهد على أن
هذا القرآن الكريم - مع - في مصادر المعرفة ، أعظم - حجاب الصدق
والشفقة واليقين - وذلك فصلاً عن دلائل صدقه المستمدة من
أدلة إعجازه الأخيرة - التي لا مجال للحديث عنها في هذه
الإشارة - بهذا المقام .

ولقد كانت مهمة الرسول ﷺ وهو الذي بلغت دعواه الرسالة
بهذا القرآن المعجز قمة اليقين المعرفي . . كانت مهمة الرسول :

أ - البلاغ لهذه القرآن الكريم : وهي مهمة جادة الأهمية بها في
كثير من بيت عبد الخوان - ينطق «البلاغ» ومشتقاته . . والحمد لله
أخرى تحمل ذات القضيوم . . مضمون بلاغ هذا القرآن الكريم إلى
العالمين . . ولقد نهض رسول الله ﷺ بهذه المهمة - قبل بعثته
والشهادة على ذلك الله تعالى في القرآن الكريم - وما أتى الرسول ﷺ ما

أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١١﴾

ب والبيان لهذا البلاغ القرآني: وذلك بتفصيل محمده وتفسير إنشائه . والنسب لكلياته . . . والتخصيص لعمامة . . . والتعبد لظلاله . . . ووضع الضوابط المعينة على التعبير عن حكمه ومقتضاه . . . وأيضاً تنوعت الشعائر والقرائن والمساكن . . . وبما سقاهمها وترويضها وأركانها وأصنافها ومصادرها ومصارفها وهذاتها . إلخ . إلخ . . . ثم صياغة المقاصد الشرعية الكلية وقوانين تحكم واقع الأمة وعلاقات أبنائها ، وتضبطها بصفة الله . . إلخ . . إلخ .

تلك كانت المهمة الثانية من مهام الرسالة : مهمة البيان للبلاغ القرآني . ولقد أعزها الرسول ﷺ . وكان عبها العالم بما فرضه عليه الله ﷻ . وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١٢﴾ . وما أَرِنَا عَلَيْكَ الْكُتُبَ إِلَّا نُسْخًا لِّمَا الَّذِي احْتَفَزُوا بِهِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾

ج والتخصيص العملي للرسالة الإلهية: عقيدة وشريعة وفيما وأخلاقاً ، التجسيد العملي لها ، بالتجربة النبوية . والتنقيح النبوي

للعالم المنهج الإسلامي ، والذي وضع الفكر القرآني في الممارسة
والتطبيق ، وأحال المنهج الرباني بناء معاشنا في الحياة ، فخلقنا من
حولنا إبداعات المسلمين ، المصطنعة بقصته الربانية ، هي شكل
علوم وفنون ، وأدب مدنية ، هي تلك التي منحت حضارة الإسلام

فالإسلام لم يبق ، في الرسالة المحمدية ، عند حدود البلاغ
القرآني ، ولا البيان النبوي النطري لهذا البلاغ القرآني ؛ لأنه لم
يكن مجرد مذهب ، أو مجلة فكرية ، أو وصايا يودعها الرسول أمية
لدى عدد من الخواريين ، وإنما كانت ، عبر التحريك النبوي ، بناء
حياتيا معاشيا ، في الممارسة والسلوك والذوق والعلاقات ، لقد
عدا صعدة الله التي صيغت الواقع والأمة والفكر ، الخضراء
فكان القرآن - البلاغ - الذي جسده الشئ النبوي - بالبيان
النطري والتجسيد التطبيقي - كيانا حيا يحيا به المسلمون ، ويحيا
في هؤلاء المسلمين !

تلك هي الشئ النبوي ، في مفهوم كاتب هذه الصفحات ،
وتلك هي مكانتها - كمصدر للمعرفة - من القرآن ، أول وأوثق
مصادر المعرفة لجمعية النبيين في حياة الإسلام والنسق الفكري
للمسلمين .

ولذلك ، فإنه يحكم شمول البلاغ القرآني لشلون عالمي الغرب
والشهادة ، وجمعه للمبادئ والكتابات والوصايا والتوجيهات

والضمابط الهادية والموجهة والمرشدة وإحاكمة لكافة مناحي الحياة الإنسانية . ووفائه - باعتباره كتاب الرسالة الخاتمة والخالدة - بالإحاطة على علامات الاستفهام الإنسانية . عن الله والحكمة . والتاريخ . والواقع . والمستقبل . والمتنهي . والمصر . وعن المعايير في كل ذلك - بحكم شعور البلاغ القرآني ووفائه لمصدر المعرفة الإسلامية الأول - لكل هذه العوالم والمبادئ . كانت السُّنة النبوية - بحكم كونها البيان العملي - هي الفكر والتطبيق - لهذا البلاغ القرآني . مصدر المعرفة اليفينية في كل ميادين ومناحي هذا البلاغ القرآني .

إن السُّنة - في عرفنا اللغوي - هي الطريقة . . وهي عرفنا الشرعي : هي ما صدر عن رسول الله ﷺ غير القرآن - من قول - هم الحديث - أو فعل أو نقد -

ومع صدق ودقة هذا التعريف . . فإنه مقاصد هذا البحث . تعمل لتعريف السُّنة هذا أبعاداً تتسق مع هذه المقاصد ، فتراها : منهج النبوة «النظري» - والعسلي» . الذي جسده البلاغ القرآني ، وأحال كلام الله وقوله وحضارة حبيبيهما «الناس» الذين آمنوا بهذا البلاغ . ومن هذا تأتي فكسها كمصدر للمعرفة . تستمد صدقها بعد احتساج شرط الصدق في الرواية والدراية - من صلتها بالقرآن نصديق - لا عدا - إن أحسن هذه السُّنة - كمدان للبلاغ القرآني . يحتم أن يكون لها في هذا البلاغ معنى أو مبنى ، وهي

بذلك قد عُدت وتعدو المصدر النبوي لبيان السلاج الإلهي ، بلاغا
كان هذا البيان النبوي أو اجتهداً نبوياً أقره بلاغ القرآن .

وبهذا المعنى لعلاقة السلسلة النبوية بالقرآن الكريم . وهي اعتبار
موقف المذهبية الإسلامية من المصحح السعدي ، قول المسلم بالتفسير
في هذه السلسلة ومنها - كمصدر للمعرفة :

أ - مصدر المعرفة لأسباب نزول السلاج القرآني والمحمدي الإلهي
على رسول الله ﷺ . . بما مثله ذلك من علم لتفسير القرآن .
ووعى بحكمة التشريع . ووعى على مواصلة هذا التشريع بالتطور عبر
الزمان والمكان .

ب - ومصدراً للمعرفة التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي
والحربي والأدبي للتجربة الإسلامية في عصر صدر الإسلام . وهي
التي حوت السلاج القرآني وأسباب نزول أبي كبره حمدي حتى
ومجتمع إنساني وبناء حضري معاصر .

ج - ومصدراً «مفروضاً» التي وقف القرآن عند أصولها ، ومنها
تتعلم التمييز بين التواثيق والمبادئ والأركان والأصول وبين الشروع
والمشغرات . التي تقوم وتنمو وتتجدد على هذه القواعد والأصول ،
مرتبطة بها . ومصطنعة مصغرة . وفي ذات الوقت مظلمة
لمساحات جديدة من الوقائع والمشكلات .

د - ومصدراً لأنسبة وهياكل الدولة الإسلامية التي أقامها

المسلمون حماية الدعوة وصورتها - وهي التي - مع ما يوشىء -
مثال لما ذكره اللوائح المقدسة التي تضمنتها «القرآن الكريم»
والكتب الصعبة أم حلت لأهلها وأهله - حتى يسهل
شرحها ويشرحها إلى الجاهل الجاهل

هـ - ومقصودنا للتشريع النبوي والنزول الثقافي في السنة - سواء
ما كان منه التفسير على القرآن - أو ما كان منه الجهاد في
الحرب - وهي السنة - مقصودنا من هذه الأجزاء النبوية
من ما ذكره في السنة - مقصودنا من السنة - ومن ما ذكره
في السنة - مقصودنا من السنة -

و - ومقصودنا للتشريع النبوي والنزول الثقافي في السنة - سواء
ما كان منه التفسير على القرآن - أو ما كان منه الجهاد في
الحرب - وهي السنة - مقصودنا من هذه الأجزاء النبوية
من ما ذكره في السنة - مقصودنا من السنة - ومن ما ذكره
في السنة - مقصودنا من السنة -

ز - ومقصودنا للتشريع النبوي والنزول الثقافي في السنة - سواء
ما كان منه التفسير على القرآن - أو ما كان منه الجهاد في
الحرب - وهي السنة - مقصودنا من هذه الأجزاء النبوية
من ما ذكره في السنة - مقصودنا من السنة - ومن ما ذكره
في السنة - مقصودنا من السنة -

كل هذه المعارف - وغيرها مما ماثلها كثير - تنهض السُّنة النبوية ، في النسق الفكري الإسلامي ، ووفقاً لقيام المنهج السعدي ، مصدراً للمعرفة البينية في مبادئها ، بل إن صحيح هذه السُّنة ، الذي اجتمعت له شروط الصدق - من حيث الرواية والدراسة - هو كنز للمعارف الإسلامية ، ملئ الغنى وتنظيم البناء وجمّة الفوائد ، كان ولا يزال مستقل المنبع للصورة المتكاملة للملامح لمنهج السُّنة النبوية ، في تطبيقاته احيائية الخفية .. وهو المنهج الفاعل في أيّ جود حاد من أجل الآخر ، والتجديد والقيم حياة الأمة ، عندما تتراجع تصوراتها وتطبيقاتها عن معايير ومعالم هذا المنهج ، فتعدو على إصلاحية فكرها وواقعها عبر ابل الإنحراف .

هذا ، تصيح السُّنة ، الكاشفة عن معالم منهج النبوة ، مصدراً عند المعرفة المحددة لفكر الإسلام وواقع المسلمين .

هذا عن مكانة السُّنة النبوية كمصدر للمعرفة في منهج الإسلام .



نماذج شهادة

«إذا شئنا نماذج شهادة - أو على الأقل أمثلة لها - تؤكد صدق
الذي ذهبت وتذهب إليه هذه الصفحات ، فإننا واجدون في عوالم
المعارف التي مصدرها الشكوة ، المبالغة والشبه ، والتي
تعددت فغدت واقعاً تعيشه الأمة ، خاصة منذ عهد صلوات الله
وحتى الآن وإلى ما شاء الله . إننا واجدون في عوالم معارف هذا
المصدر النبوي ما يشهد على أن هذا هو مكانها من عوالم معارف
المصدر الإسلامي الأول القرآن الكريم . مكان «البيان النبوي»
من «البيان الإنساني»

وعلى سبيل المثال

■ فالقرآن الكريم يشير إلى قصة بدء الخلق ، حيث أتى بعد
به الله سبحانه وتعالى ، وجاءت إسماء القرآن بتحداني في
«طواغيت وعبدية غير الله» : «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف
بدأ الخلق» (١) . «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق
الإنسان من طين» (٢) . «قل هل من شركائكم من بدأ الخلق»

(١) العنكبوت ٢٠

(٢) البقرة ٢٧

فليس هذا المصدر الشري ، وإنما للمصدر القرآني عرفنا ونعرف طرفاً من خبر بدء الخلق ، الأمر الذي أتاح لنا تصور الحلال الذي اختلفت به ، مثلاً ، خلق الإنسان . حتى لقد أتم ملائكته بالسجدة له . . بينما وجدنا هذه الصورة ، لدى العلم العربي ، الذي رفض المذهب السعفي ، هي صورة الحيوان البدائي والجمعجي .

● وتاريخ عالم يسجله ويحفظه التاريخ . ذلك الذي نالت من أهله وسعالم محسبهم . لم يفت حكمة ليرة الإسلام على صنع الآثار الباقية . هذا التاريخ عن الآء السافرة والخصومات الباقية . تحسده وعن أنه إنسان في الطرقة الذرية . من متى الصربين إلى عاد ونسوة وأهل مدس . ولدى وما على وأحسان الأشياء والرمال السابقين . . وإذا كانت هذه «الإنشائات التاريخية» هي القدر المطبق من ذلك التاريخ . فإسماؤهم في سمة سمة طرفاً من المعرف فيها بعض التفصيل لما في الملاح القرآني من إنشائات لذلك التاريخ .

● وواقع الجاهلية التي أخرج الإسلام أهلها من حضارتها البرية الإسلام - وهو واقع حسد عاد بشيرة غلب عليها لأمة الجاهلية فقيرة في أدوات التمييز لتاريخ مجتمعاتهم - هذا الواقع الجاهلي - في عاداته وتقائده وأعرافه . . في أديبه وأوقته وعناسكه . . في تشردمه الثقلي وعلاقاته فسادته عن جوارحه . من البهول والشعوب . . في مكانة المرأة . وأنواع الزواج ، علاقات الرجال بالنساء . . في حلال والحرام . في أحوال لإتساح وعافاة

ومصادر الأثراني ، إلخ ، إلخ . هذا الواقع الخاطيء ، والذي لا
 سألني إلهي عن القرآن الإسلامي وحضور الإجماع الإسلامي إلا
 بنصوري ، باعتبار ميدان هذا الإجماع ، والسبب في مجيء البناء
 الخفاري الإسلامي على هذا النحو الذي جاء عليه هذا الواقع
 الخاطيء لم نجد مصداقاً من مصداق المعرفة والتعريف له أغنى من
 ما بين يدي هذا البناء الإسلامي .

● وهذا التخصيب الذي صغره البيان السوي للبلاغ
 القرآني ، والذي ميز رسالة محمد ﷺ عن كثير من رسائل
 الرسل الذين سبقوه على ذب اتصال النجم بالأرض . . هذا
 السال الذي جعل الرسالة أمة وديانة ومجتمعاً ونظاماً
 وحضارة . اعتدلت بأسع الروابي ، وصطبعت شعاع الله ،
 ليس كالعنقبة النيرة ذبوت جموع المعرفة وتلعبت حقائقها
 الشفوية - قال أن تعبته قصص القصص ومذاهب
 (1)
 بعد ذلك ، وبعد أن يصدر من مسير وقادته ، وعلمائه
 وأحرارهم ، وفيه صور شدة إسمه في كثير من ميادين
 الحبيبة ، الخاصة به والعامة . وفيه أوفى وصلته المودة
 لأسماء الأئمة . حيث يتجلى روحه ، وطرائق أفعاله وأعماله
 كشبهه فيه . من أعمدة وفروجه ، وفنون فانيها ، ومن
 حداث فيها من المصير والسكران . وفيها سحر

العلاقات الدولية ، والمعابير التي حكمتها . ففي هذه السلسلة
 النبوية ، قبل غيرها ، وأكثر من غيرها - بل ربما دون غيرها -
 سجلت ذوات المعارف ومصادرها . الذي يعرف به ويعرف صورة
 الحضر والسيد . وماذا كانت تعني البحيرة في التطير من
 المتعرب والسداوة إلى الشمدن والخصاصة . وكيف كانت
 الشورى ، وبدايات مؤسساتها . . . والتراتيب الإدارية
 والكتاب والتراجمة والمكاتب . . . والملاء واللايات
 والعسالات . . . وعصور الأدق والأصدق عصورها الزاهرة
 وصنع نموذجها الإسلام . . . والأموال وخراج . . . إلخ . . . إلخ
 لم يهي في هذه المبادئ . وما مائلها ، أوتق وأغنى مصادر المعرفة
 للفارسيين ، الدخيل على السواء

● وإذا كان السلاغ الفارسي قد حشد مكانة رسمية خاصة جالدة
 في عقد لرسالات الإنهية للشمس . . مكانة المصنف في الاعتماد
 الديني الواحد - أولاً وأبداً - . والمهيمن في الشريعة المنعوية
 باختلاف لرسالات

في شرع لكم من الدين ما وصي به نوحاً والذي أوحينا إليك زده
 وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقبسوا الدين فلا تشرفوا
 فيه . . . والبرهان الكتاب بالحرف مصنف لما بين يديه من

المسلمين بأهل الكُتُبان ، في داخل المجتمع الإسلامي الناشئ
والدولة الإسلامية الوليدة ، ومع الدول والمجتمعات الكثيرة العظيمة
- وهي - هذه التطبيقات - جزء من السُنَّة النبوية - إنما واحداً من
سماها (أما سماها من المعرفة ، لا منسب إلى نفسها في حيزها) من
من مصادر هذا الباب وذلك التاريخ .

● وإذا كان البلاغ القرآني يعلمنا - صريح ما يعلمنا - المذهب
الإسلامي المتمسك في أمر السنن والقوانين المودعة في ظواهر
الطبيعة وحقائق الوجود - وهو المذهب الذي يعترف بعبادة
السنن والقوانين في المسببات المتولدة عنها ، مع الإيمان بأن هذه
السنن والقوانين - مثلياً مثل الظواهر والقوى التي أودعت فيها ،
جميعها مخلوقة من خلقها وحلق فيها هذه السنن والقوانين
الفاعلة - فمنها المفسر والمطرد من خلق الله وإرادته ، وله
سبحانه القدرة على الخلق والحرمان لا من الاعتقاد بحال هذه
السنن والقوانين إذا أراد إظهار إعجاز يؤيد به رسولاً أو يتحدى به
من لا يحضونه بالأنوحية والربوبية .

هذا ما يعلمنا إياه البلاغ القرآني عندما تشير آيات منه إلى سنن
الله في الكون والوجود والطبيعة والإنسان والمجتمعات

و يريد أن نرى على الذين استعصوا في الأرض وجعلهم الله
وجعلهم الأوائل (١) وسكن لهم في الأرض ويرى فرعون

وهامان وحنودهما ميهما ما كانوا يحذرون^(١١) . . . إن
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^(١٢) .
«وكم أهلكتنا من قرية ظنر معيشتها فللك مساكينهم لم تكن
من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين^(١٣)» وما كان ربك مهلك
القري حتى سمع في أميا رسولاً ينذر عليهم آياتها وما كان مهلكي
القري إلا وأهلها ظالمون^(١٤) . . . وإذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا^(١٥) .
نلك بعض من آيات البلاغ القرآني التي أشارت إلى بعض
من سنن الله في جماعات وكنسعات . . . وعلى هذا النمط
جد السنة الشرية كثر سمعروف حتى تعنى التدكر الإسلامي
في هذا الميدان

«ما عليهم الغلول في قديم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ، ولا
فشا الزنا في قوم إلا وكثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم انكيال
والميزان إلا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق إلا قضى
فيهم الدم ، ولا خسر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدو»^(١٦) . . .

(١١) المائدة: ١٢٢

(١٢) البقرة: ١٧٧

(١٣) القصص: ٢٥

(١٤) القصص: ٥٨ ، ٥٩

(١٥) رواه الإمام مالك في الموطأ

«تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَتَأْخُذُونَ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ .
وَتَأْطُرُونَهُ عَلَىٰ الْحَقِّ أَطْرًا» . أَوْ لِيُضَرِّسَ اللَّهُ بِعَفْوَكَ بَعْضُكُمْ . ثُمَّ
تَدْعُونَ فَلَا تُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١) . «إِذَا أَيْتَمَ الظَّالِمُ فَلَمْ تَأْخُذْهُ عَلَيْهِ
بِيَدِهِ يُوْشِكُ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَكُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»^(٢) . «إِيَّاكُمْ وَالشَّيْءَ
فَإِنَّهُ أَهْلَكَ فِي كَرٍّ فَكَمْ . أَمْرُهُمْ نَالِحِينَ فَيَخْلُوا . وَأَمْرُهُمْ بِالْعِلَامِ
فَيُظْلَمُونَ . وَأَمْرُهُمْ بِالْمَنْعَةِ فَيُقْطَعُونَ»^(٣) . «لَا يَلِيْتُ الْجُورَ بَعْدِي إِلَّا
قَلِيلًا حَتَّى يَقْطَعَ . فَكُلَّمَا طَعَّ مِنْ الْجُورِ شَيْءٌ ذَهَبَ مِنَ الْعَدْلِ
مِثْلُهُ . حَتَّى يُولَدَ فِي الْجُورِ مَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ . ثُمَّ يَأْتِي اللَّهَ تَعَالَى
وَتَعَالَى . بِالْعَدْلِ . سَاجِدًا . مِنَ الْعَمَلِ سِرًّا ذَهَبَ مِنَ الْخَيْرِ
مِثْلُهُ . حَتَّى يُولَدَ فِي الْعَدْلِ مَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ»^(٤) . «بِأَمْرِ حَازِمِهِ
بِابْنِ الْيَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . إِبْرَاهِيمَ اللَّهِ أَيْ كَوْنِ بَعْدِ الْخَيْرِ الَّذِي
أَعْطَيْنَا شَرًّا . كَمَا كَانَتْ قَبْلَهُ»^(٥)

- فَقَالَ بِيْرٍ : عَمَّا

قَالَ حَازِمُهُ : قَسَمَ بِعَفْوَكَ

- فَقَالَ بِيْرٍ : أَلَيْسَ بِ

(١) ١٠٠ الشَّيْءُ وَالْمَنْعَةُ وَالْمَنْعَةُ حَبْلٌ

(٢) رَوَاهُ الشَّيْخُ

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

(٤) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ

(٥) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ

«إِذَا رَأَيْتُمْ عَلَيَّ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ أَوْ يَقُولُ إِنَّكَ الْمَتَّ طَائِلٌ ، فَصَلِّ تَوَدِّعْ مِنْهُمْ»^(١) . ومن حديث ثوبان - مولى رسول الله - يقول : «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْرِ تَحْسَبُ تَدَاعَى الْأَكْلَةَ عَلَى قِصْعَتِهَا» قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ فِتْنَةٍ بَنَى بِمُشْرِكٍ؟ قَالَ أَمِنْ بِمُشْرِكٍ كَثِيرٍ ، وَكَلِمَةٍ كَثِيرَةٍ كَثَرَتْ بِهَا نَحْمُ السَّبِيلِ . يَنْتَزِعُ الْفِتْنَةَ مِنْ قُتُوبِ عَمَلِكُمْ ، وَيَجْعَلُ فِي قُتُوبِكُمْ الْوَهْمَ . قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْمُ؟^(٢) قَالَ حُبُّ الْخِيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(٣) . . «مَنْ احْتَكَبَ ضَعْفًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ضَعْفًا بَرِئَ مِنَ اللَّهِ نِعَالِي وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلٍ عَرَضَ»^(٤) أَصْبَحَ فِيهِمْ أَمْرٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِثَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى»^(٥) . «مِثْلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمِثْلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، يَهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ السَّيْرِ وَالْحَيَرِ . وَإِذَا انْطَضَتْ لَحِجَّةُ يُوشِكُ أَنْ تَقْلِبَ إِلَهُ الْأَعْمَى»^(٦)

ذلك امثلية على أطراف من المعارف التي مصدرها النبوة . . معارف نُسْنِ والقوانين التي أقامها الله وأودعها في الخصائص والمجتمعات والاحتمال .

• وإذا كانت الـ سبحانه وتعالى قد جعل الإنسان خليفة في

(١) رواه الإمام أحمد

(٢) رواه أبو داود والإمام أحمد

(٣) المعجم الكبير ، المجلد الثاني ، الصفحة ١٠٠

(٤) رواه الإمام أحمد

(٥) رواه الإمام أحمد

استعمار هذا العالم الذي يعيش فيه ، وعلى امتداد الأفاق التي
يمتدحها سلطانه . وإذا كان البلاغ القرآني قد حث هذا الإنسان
على النهوض بتهام الإعمار هذه ، فتحدثت آياته قارة الإيمان
العامل بالعمل المؤمن ، على نحو كذا أنه يكون دائماً : « يا أيها
الذين آمنوا إذا برزى لكم الصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا إلى ذكر الله
ودروا السبع فلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (1) فإذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض واسمعوا من فضل الله وأذكروا الله
كثيراً لعلكم تفلحون » (2) « فإذا قرع قابض » (3) وإلى
ذلك فارعب » (4).

إذا كانت هذه هي إرادة الله ، وهذا هو حديث البلاغ القرآني عن
عسارة العالم الإنساني بالإيمان العامل والعمل المؤمن ، فإن البيان
النبوي - السنة - زاخرة بمعارف التي تمثل الزاد الذي لا ينقص في
هذا الميدان . فحديث العمل . والمأثورات التي فلتت لأحياء
الأرض وعسارتها . هي مما لا ينسحق له مقام . بل إن تجربة أبناء
الاجتماعي والاقتصادي لسنة الإسلام الأولى هي التحسين
العملي لهذا البيان النبوي في هذا الميدان . وفي حديث أبي
هريرة ، يقول : « خير الكتب كتاب يد العامل إذا

(1) الجمعة 9: 10.

(2) البقرة 110.

صحيح^(١) . بل إن معظم العمل الإنساني يبلغ في السنة النبوية المقام الذي يتحدث عنه حديث الرسول ﷺ ، الذي يرويه أنس بن مالك : «إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ ، وَبَدَأَ أَحَدُكُمْ قَسِيَةً ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِمَهَا فَلْيَفْعَلْ»^(٢) .

هذه إشارة إلى ما يعرف حتى قدمها لنا السنة . كمصدر للمعرفة في هذا الميدان .

● وإذا كانت العقيدة الإسلامية تأسي «العنيتية» التي ترى في هذه الحياة الدنيا نهاية المطاف بالنسبة للحياة والأحياء ... وتجعل من الإنسان بالبعث والحساب والخير . في اليوم الآخر ، ركنا من أركان الإيمان . وإذا كان السلاج فقرا في قد أشار إشارات عديدة إلى «البعث» في معرض إقامة الحجة على منكره : « وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمُعْبُوثِينَ »^(٣) . «وَعَمَّ الدُّنْيَا كَثُرُوا إِنْ لَمْ يَعْزُوا قُلْ لِي وَرَبِّي لَتُبَيَّنَّ مَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»^(٤) . «مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَيْفَ أَرَادَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^(٥) . «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) البقرة : ٢٤٦ .

(٤) النحل : ٦٢ .

(٥) الفرقان : ٢٨ .

وأيضا بهم ثمنا قليلا أو لك لا خلاف لهم في الاحرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يحسبهم الله عبادا أبدا^(١١)

إذا كانت تلك إشارات إلى حديث السلاخ القرآني عن «البعث» وخبره . فإن معارف السُنَّة النبوية عن أبيه «البعث» وصورة وأحوال الناس فيه . هي تصور الذي يجد فيه المسلم في اقرب صورة هذا الغيب . على نحو ما إلى العقل المحدود للإنسان عالم الشهادة ، الذي توحه إليه الرسالة الإلهية بالسلاخ وبالبيان

ففي حديثه أبي ذر . يقول رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يحسبهم الله عبادا أبدا المسبل^(١٢) . والمثان . والمتفق صلغته بالخلف الكاذب»^(١٣) . كذا علمه . أيضا . أن من أشد عذاب الله صله يوم القيامة . علمه لا ينتفع بعلمه»^(١٤) !

هذا إلى ما ضمت كموز السُنَّة من صور تقرب للذهن الإنساني ، قدر الإمكان . أحوال النفع في الصور . وأحداث ما بين النفتختين . . . وصورة أخش . . . ومكانه . . . وصورة الناس فيه . . . وأخصاب . . . والميزان . . . وأجزاء . . . والشفاعة . . . ومن يُظنهم الله يوم

(١١) آل عمران : ٨٧

(١٢) السبل : يضم إليه وسكون السين وكسر اللام . عرجي . . . حارث بن عكر . . .

(٣) رواد مسلم

(٤) رواد الدارمي .

لا ظلُّ إلا ظله .. إلخ .. إلخ .. وغيرها من المعارف المقررة والمبسرة والمفسرة لإشارات البلاغ القرآني لهذا العالم الذي يستحيل على العقل البشري إدراك كنه حقائقه . كما يستحيل على لغة البشر أن تكون وعاء يفي بحمل ما في أمثاله من مصائب .

لذلك أمثلة لمصادح ضاهية على الشئ النبوية كمصادر من مصادر المعارف السمعية في السير الفكرية للإسلام . وهي إذ وفقت عاد حدود أمثلة موعود مقدم ويحبر فإنها ماضية على صادق وعاء الشئ النبوية بهذه المهمة في فكر الإسلام وفي حفاضة المسلمين



وأخيراً

فإن التماس الإنسان المسلم المعارف العديدة ، من المصادر والميادين المتعددة ، بواسطة الشُّعْبة النبوية ، إنما يفتح للعقل الإنساني الجديد والعديد من الأفاق ، وذلك دون أن يحد من قدرات وإمكانات وأفاق هذا العقل أو يقيد من طموحاته . . بل إن هذا المنهج الإسلامي ، الذي لا يقف - كالمنهج الغربي عند المنهج الحسني التجريبي - إنما يقوم - مع تهذيب غرور العقل - بتوجيهه إلى الميادين الحقيقية التي تأهل لأن يدع فيها ، وذلك عندما يعلمه حقيقة عجزه عن الاستقلال بإدراك معارف عالم الغيب . . وكأنه - المنهج الإسلامي - يذكر العقل بالحقيقة الخالدة التي تقول : كل ميسر لما خلق له !

كذلك ، فإن هذا المنهج الإسلامي ، الذي يجعل البلاغ القرآني ، وبيانه النبوي : مصدراً للمعرفة اليقينية في ميادين عديدة - يكون في بعضها : مجرد حافز للعقل على النظر ، وحافظ له من تجاوز الحدود . . ويكون في بعضها : المعين والمؤازر . . ويكون في أخرى : المصدر الوحيد لمعرفة ما لا قبل للعقل بالخوض فيه .

إن هذا المنهج المتميز هو المحقق : تكامل المعرفة الإنسانية ، وذلك عندما يحقق للإنسان قدرًا من معارف عالم الغيب ، إلى جانب زاده وزاد اجتهاداته من معارف عالم الشهادة . . وهذا التكامل هو الذي يحقق «التوازن المعرفي» للإنسان ، على النحو الذي ييسر له

«التوازن السلوكي» .. وبهما - التوازن المعرفي ، والتوازن السلوكي -
تتحقق «المعاني» و«الحكم» و«العلل الغائية» من وراء خلق
الإنسان ، واستخلافه عن الله ، سبحانه وتعالى ، في عمارة هذا
العالم .. فتنتفى - أو تفل - من حياته متغصات وأزمات «العبثية»
و«اللا أدبية» و«الطرق المغلقة» ، التي تأخذ بخناقها في ظل
الحضارات المادية ، والتي قادته ودفعته - خارج منهج الإسلام
ووسطيته - إلى مستنقعات : «الشهوة الحيوانية» و«اللذة الأنية»
و«الأنانية المتعالية» و«النظرة العدمية» تجاه ما وراء عالم
المحسوسات .. فلم ينجح التقدم المادي الذي أحرزه في إنقاذه من
القلق والقنوط والإحباط .. حتى لتصديق عليه الآية القرآنية التي
تتوعد فتقول : ﴿ كَلُوا وَامْتَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾ ^(١) .. وحتى
لكأنهم دهميو العصر ، الفائلون : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ^(٢) !

هذا هو منهج الإسلام ، العاصم للإنسان من هذا المصير .. به
رأينا الشئبة النبوية مصدرًا للمعرفة ، تنهض بدورها إلى جانب
البلاغ القرآني في إثراء معارف الإنسان المسلم ، وإغناء التسق
الفكري لحضارة الإسلام .

(١) «المزملات : ٤٦»

(٢) «الحاقة : ٢٤»

الفهرس

٣	تمهيد
٥	بين منهجين
١٥	القرآن والسنة : أو : البلاغ . . والبيان
٢٣	نماذج مشاهدة
٣٧	وأخيرًا

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ،
ويقوم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن
والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا
إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي ● د . محمد سليم العوا
- أ . فهمي هويدي ● د . يوسف القرضاوي
- د . سيد دسوقي ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيري ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإضاءة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر